

{ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ } (1)

{ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ } قرأ أبو جعفر: " لِإِيلَافِ " بغير همز " إِإِ فَهْم " طلباً للخفة، وقرأ ابن عامر { لآلَاف } بهمزة مختلصة من غير ياء بعدها، على وزن لغلاف، وقرأ الآخرون بهمزة مشبعة وياء بعدها، واتفقوا - غير أبي جعفر - في " إِيلافهم " أنها بياء بعد الهمزة، إلا عبد الوهاب بن فليح عن ابن كثير فإنه قرأ: " إِفْهَمُ " ساكنة اللام بغير ياء.

وعدَّ بعضهم سورة الفيل وهذه السورة واحدة؛ منهم أُبَيُّ بن كعب، لا فصل بينهما في مصحفه، وقالوا: اللام في " لِإِيلَافِ " تتعلق بالسورة التي قبلها، وذلك أن الله تعالى ذكَّر أهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة، وقال: { لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ }.

وقال الزَّجَّاج: المعنى: جعلهم كعصف مأكول لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، أي يريد اهلاك أهل الفيل لتبقى قريش، وما ألقوا من رحلة الشتاء الصيف.

وقال مجاهد: ألقوا ذلك فلا يشق عليهم في الشتاء والصيف.

والعامة على أنهما سورتان، واختلفوا في العلة الجالبة للام في قوله: " لِإِيلَافِ "، قال الكسائي، والأخفش: هي لام التعجب، يقول: اعجبوا لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ رحلة الشتاء والصيف، ورتكهم عبادة ربِّ هذا البيت، ثم أمرهم بعبادته كما تقول في الكلام لزيد

وإكرامنا إياه على وجه التعجب، اعجبوا لذلك. والعرب إذا جاءت بهذه اللام اكتفوا بها دليلاً على التعجب من إظهار الفعل منه.

وقال الزجّاج: هي مردودة إلى ما بعدها، تقديره: فليعبدوا ربَّ هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف.

وقال ابن عيينة: لنعمتي على قريش.

وقريش هم ولد النضر بن كنانة، وكل من ولده النضر فهو قرشي، ومن لم يلبه النضر فليس بقرشي.

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، أخبرنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي، أخبرنا عبد الله بن مسلم أبو بكر الجوربدي، حدثنا يونس بن عبد الأعلى الصديقي، أخبرنا بشر بن بكر عن الأوزاعي، حدثني شداد أبو عمار، حدثنا واثلة بن الأسقع، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **" إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم "**. وسموا قريشاً من القرش، والتقرُّش وهو التكسب والجمع، يقال: فلان يقرش لعياله ويقترش أي يكتسب، وهم كانوا تجاراً حراساً على جمع المال والإفضال.

وقال أبو ريحانة: سأل معاويةً عبدَ الله بن عباسٍ: لمُ سُميت قريش قريشاً؟ قال: لدابة

تكون في البحر من أعظم دوابه يقال لها القرش لا تمر بشيء من الغث والسمين إلا أكلته، وهي تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تعلق، قال: وهل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال: نعم، فأنشده شعر الجمحي:

وقریشُ هي التي تسكنُ البحْ
ر سُميَتْ قُرَيْشُ قُرَيْشًا
سلطت بالعلو في جفة البحْ
ر على سائر البحور جيوشا
تأكل الغث والسمين ولا تت
رك فيه لذي الجناحين ريشا
هكذا في الكتاب حيي قريش
ياكلون البلاد أكلاً كميشا
ولهم في آخر الزمان نبي
يكثر القتل فيهم والخموشا

{ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ } * { فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ } * { الَّذِي
أَطَعَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَأَمْنُهُمْ مِّنْ خَوْفٍ } (2-4)

قوله تعالى: { إِيْلَافِهِمْ } ، بدل من الإيلاف الأول، { رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ } ، " رحلة " ، نصب على المصدر، أي ارتحلهم رحلة الشتاء والصيف.

روى عكرمة، وسعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانوا يُسْتُون بمكة ويصَيِّفون بالطائف، فأمرهم الله تعالى أن يقيموا بالحرم ويعبدوا ربَّ هذا البيت.

وقال الآخرون: كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة، إحداهما في الشتاء إلى اليمن لأنها أدفأ، والأخرى في الصيف إلى الشام.

وكان الحرم وادياً جدياً لا زرع فيه ولا ضرع، وكانت قريش تعيش بتجارهم ورحلتهم، وكان لا يتعرض لهم أحد بسوء، كانوا يقولون: قريش سكان حرم الله وولاية بيته فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة، ولولا الأمن بجوار البيت لم يقدرُوا على التصرف، وشق عليهم الاختلاف إلى اليمن والشام فأخصبت تَبَالَة وجرش من بلاد اليمن، فحملوا الطعام إلى مكة، أهل الساحل من البحر على السفن، وأهل البر على الإبل والحمير، فألقى أهل الساحل بجدة، وأهل البر بالمحصب، وأخصب الشام فحملوا الطعام إلى مكة فألقوا بالأبطح، فامتاروا من قريب وكفاهم الله مؤنة الرحلتين، وأمرهم بعبادة رب البيت فقال:

{ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ } ، أي الكعبة.

{ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ } ، أي من بعد جوع بحمل الميرة إلى مكة، { وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ } ، بالحرم وكونهم من أهل مكة حتى لم يتعرض لهم في رحلتهم.

وقال عطاء عن ابن عباس: إنهم كانوا في ضرٍّ ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين، وكانوا يقسمون ربحهم بين الفقير والغني حتى كان فقيرهم كغنيهم.

قال الكلبي: وكان أول من حمل السمراء من الشام ورحل إليها الإبل: هاشم بن عبد مناف، وفيه يقول الشاعر:

قل للذي طلب السماحة والندي هلاً مررت بآل عبد مناف
هلاً مررت بهم تريد قراهم منعوك من ضرٍّ ومن أكفاف

المراثينَ وليس يُوجدُ رائِش
والخالطينَ فقيرَهمَ بغنيهم
والقائمينَ بكلِّ وعدٍ صادق
عَمُرُوا العَلا هَشمَ الثريدَ لقومه
سَفَرَيْنِ سنهما له ولقومه
والقائلينَ هلمَّ للأضيافِ
حتى يكونَ فقيرُهمَ كالكافي
والراجلينَ برحلةِ الإيلافِ
ورجالُ مكةَ مُسنتُونَ عِجافِ
سَفَرَ الشتاءِ ورحلةِ الأضيافِ

وقال الضحاك والربيع وسفيان: { وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ } من خوف الجذام، فلا يصيبهم ببلدهم الجذام.